متى يرحل السيسي؟

الأربعاء 11 يونيو 2014 12:06 م

محمد طلبة رضوان

استقبلتُ حفل تنصيب السيسي رئيسًا بقوة السلاح على مصر وأنا في العاصمة بيروت، طرحت السؤال على غير واحد من مثقفي اليسار بلبنان وكانت الإجابة أكثر من مدهشة، يتصور أصدقاؤنا في لبنان -وكاتب السطور معهم- أن ما حدث في مصر في **25** يناير **2011** أكبر بكثير وأعمق أثرًا من أن يتجاوزه أحد، أو يحتويه، أو يقفز على أهم منجزاته؛

فالمنجز الحقيقي لثورة الشباب ليس الانتخابات، أو المسار الديمقراطي، أو وصول الفصيل "س" أو "ص" إلى الحكم، رغم أهمية كل ما سبق، المنجز الحقيقي الذي لم يكن أحد يتوقعه في مصر أو غيرها من بلدان الربيع العربي هو كسر حاجز الخوف، وتحطمه على صخرة الهتاف: يسقط حسني مبارك، يسقط حكم العسكر، الشعب يريد إسقاط النظام

انتهى زمن الفاشيات العسكرية المرعبة، انتهى زمن الحاكم الفرد، انتهى زمن الملهم المفدى، فتوة الحارة (اسم الله عليه اسم الله عليه)، لم يعد هناك مجال لطاغية جديد، وإن امتلك رؤية للنهوض، وبرنامجًا سياسيًا واقتصاديًّا، وتصورًا اجتماعيًا لإدارة مرحلة انتقالية ناجحة، وعصا موسى، وخاتم سليمان، فما بالك برئيس بلا رؤية وبلا هدف -سوى الكرسي ومصالح الطبقة- وبلا برنامج، وبلا شيء على الإطلاق، اللهم إلا برامج التطبيل شو

السيسي مرشح بلا برنامج، ورئيس بلا طوابير انتخابية، والشرعية في مصر مفهوم له بعد اجتماعي و"شوارعي" لا يستطيع أحد بعد يناير أن يتجاوزه السيسي الآن في نظر المصريين مزور، انتهى الأمر، حتى بعض من انتخبوه، أو أيدوه لما أسموه بضرورات المرحلة يعترفون بذلك، ويبررونه باللحظة المأزومة التي لا تحتمل مماحكات حقوقية أو ديمقراطية رئيس لم ينتخبه أحدٌ ومع ذلك يحصل على أصوات الملايين، هذا زمن ولّى، و"تفويت" المصريين لمسألة التزوير ليس إلّا من باب الإملاء، المصريون لا يعنيهم كثيرًا في هذه المرحلة شرعية الوصول إلى الحكم، إنما يعنيهم شرعية الاستمرار، الفعل، المنجز، لسان أحوالهم يقول: لعله يفعل شيئًا، فإن لم يكن فهي الثورة

في مصر يحاول إعلام رجال الأعمال المستفيدين من وجود السيسي الآن "برفانا" في الاتحادية لحماية لمصالحهم، يحاول إعلامهم أن يصور للناس أن الأمر قد انتهى لصالح الثورة المضادة، وأن رجال مبارك قد عادوا، وأن الثورة وهم، وأن دماء أولادهم أريقت سدى، يحاول أن يصدّر الإحباط، واليأس، وثقافة الهزيمة، ولعله نجح أو يوشك مع بعض القطاعات؛ إلّا أن الصورة من زاوية منفرجة تبدو غير ذلك: المصريون تعلموا الصراخ في وجه المستبد، وعاينوا هشاشة مؤسساتهم القمعية، وفرزوا مثقفيهم ونخبهم، وفرقوا -بمستوى ما- بين الغث والسمين، المصريون مثلهم مثل أي شعب يتعلمون بالتجارب، قد نبالغ إذا قلنا إننا أفضل الشعوب، وأعرق الحضارات، و(أجدع) ناس، ربما هي مبالغة من يدرك أن هذا زمن ولى وما من سبيل لاستعادته سوى الأغاني، والمبالغات و"المعر" كما يقول المصريون، إلا أن تجربة يناير لم تكن بالهينة، واشتغالها على ما تبقى من موروث حضاري حقيقي، وإرادة كانت تنتظر من يطلقها، ورغبة أكيدة في التغيير كانت تبحث عن بوصلتها ووجدتها في الشباب، كل ذلك ينبئ بمواطن مصري يختلف عن نظيره قبل **25** يناير

نحن لم نصل بعد إلى المستوى المتوقع والمنتظر، إلا أننا على الطريق، ولن ننتظر طويلًا، مصر الآن تعرف ماذا تريد، كان هذا أصعب خطوة في قضية هذا البلد، يناير تجاوزت بنا هذه العقبة الكئود، وحالة الإحباط التي يصطنعها إعلام "خائن" بالمعنى الحرفي للكلمة دون تحرج من مزايدات أو اتهامات بالتخوين، ليست إلا سحابة صيف ستمر مع إخفاقات السيسي المتوقعة والمنتظرة من رجل ليس لديه ما يؤهله لإدارة كيلو متر واحد من مصر مدنية، ولا يخفى على أحد أنه لم يصل إلى موقع الصدارة في المؤّسسة العسكرية سوى بمؤهلات الترقي في دولة مبارك التي لم تكن تشترط الكفاءة، بل لعلها تشترط انعدامها، في مقابل الولاء وأهل الثقة والنفاق

نحن أمام استحقاق نفسي، سيسقط السيسي قريبًا جدًّا، أقرب مما نتصور، ولن تحميه المؤسسة العسكرية، ولو ظنوا أنهم مانعتهم حصونهم، سيسقط بأدائه، وبقدرتنا على تجاوز القرف والحزن والإحباط والمحافظة على حالة الترقب الشعبي، وتغذيتها دائمًا بكل إخفاق،

أو تقصير، أو استغفال للناس، أو إلهاء، أو تبرير لفشل فقط علينا أن نقاوم أنفسنا بإصرار، لا أن نقاوم حكم العسكر الذي ذهب زمانه، ولا تعدو محاولات إعادته البائسة سوى أوهام رجوع الشيخ إلى صباه، سيسقط السيسي حين نجيب على أسئلة ما بعد السيسي، ونعرف كيف ندير خلافاتنا بالحوار واعتبار المصالح لا بالكراهية و"فش الغل"...

سيسقط السيسي حين نعلو نحن، وهذا ليس صعبًا، كانوا يقولون إن سقوط مبارك حلم ورومانسية ثورية فارغة، وسقط مبارك، رغم أنوف من يربطون دائمًا بين الواقع والإخفاق، ومثله رجله، سيسقط السيسي قريبًا جدًّا، وسيرحل، فقط علينا أن نتجاوز، ونفكر، ونحلم